سرح العيون
في
شرح رسالة ابن زيدون

تأليف

جمال الدين بن نباتة المصري

٦٨٦ — ٧٦٨ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر

دار الفكر العربي

١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م

مطبعة المدني
٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير

١ — ابن نُباتة(*)

عُرِف باسم « ابن نُباتة » أربعة من أعيان العربية وفُضلائها ؛ أوّلهم ابن نُباتة الفارقيّ خطيب حلَب ،والمتوفَّى بها سنة ٣٧٤ هـ ، وثانيهم ابن نُباتةالسعديّ شاعر سيف الدولة ، والمتوفَّى ببغداد سنة ٤٠٥ هـ ، وثالثهم ابن نُباتة المحدّث شمس الدين ، والمتَوفّى بدمشق سنة ٧٥٠ هـ .

الرابع ولده ابن نُباتة المصريّ جمال الدين ، أمير شعراء المشرق ، وصاحب الديوان المعروف باسمه ، وشارح رسالة ابن زيدون .

(*) مراجع ترجمته :

الأعلام لخير الدين الزركلى ٧ : ٢٦٨ / البداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ٣٢٢ / البدر البشتكى (مقدمة ديوان ابن نباتة المطبوع سنة ١٣٢٣هـ) /البدر الطالع للشوكانى ٢ : ٢٥٢ — ٢٥٤ / تاج العروس (مادة — نبت) / تاريخ الآداب العربية لزيدان ٣ : ١٢٢ / تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢ : ١١ ، والملحق ٢ : ٤)/ تاريخ ابن إياس ١ : ٢٢١، ٢٢٢/ تقديم أبى بكر (خزانة الأدب) لابن حجة الحموى ٢٨٩ — ٢٩٣/ ثمرات الأوراق لابن حجة الحموى ٤٨ — ٤٩ / حديقة الأفراح لأحمد الأنصارى ١١٧ ، ١١٨ / حسن المحاضرة للسيوطى ١ : ٣٤٥ / دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ / الدرر الكامنة لابن حجر ٤ : ٢١٦ — ٢١٨ / رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٠ ، ٥١/ شذرات الذهب ٦ : ٢١٢/ طبقات الشافعية ٦ : ٣١ / عقد الجمان للعينى (مصورة دار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ) وفيات سنة ٧٦٨ / فهرس دار الكتب المصرية ٣ : ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٦٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ / فهرس المخطوطات المصورة (فؤاد السيد) ١ : ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ، ٤٨٠ / فهرس المخطوطات المصورة (لطفى عبد البديع) ٢ : ٢٨ ، ٢٩ / كشف الظنون ٣ ، ٤٨٠ ، ٧١٤ ، ٨٤١ ، ٩٦١ ، ٩٧٩ ، ١٠٠٩ ، ١٠٤٧ ، ١٢١٥ ، ١٢٤٣ ، ١٣٥١ ، ١٦٠٣ ، ١٧٢٠ ، ١٨٥٠ ، ١٩٣٤/ مجلة المجمع العلمى العربى (محمد أسعد طلس) ٢ : ٣٠١ — ٣١٠ /معجم المطبوعات =

وهو أبو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن شرف الدين محمد بن أبي الحسن بن صالح بن على بن يحيي بن طاهر بن محمد بن الخطيب عبد الرحيم ابن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقيّ الُجذاميّ ، حفيد عبد الرّحيم الخطيب ، وولد عالِم عصرِه محمد شمس الدين ، وأحد أفراد الأسرة النّباتية التى زكا أصلها ، وطابت فروعها ، ونخر فى شعره بالانتساب إليها :

وَرِثتُ اللّفظَ عن سلفى وأُكرِمْ ... بآلِ نُبـاتةَ الغُرِّ السَّراةِ[1]

فلاَ عجبٌ لِلفظى حينَ يحلُو ... فهذا القَطْرُ من ذاكَ النّباتِ

كان مولده بمصر المحروسة فى ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانين وستمائة ، بزُقاقِ القناديل ، أحد مواطن الأشراف والأعيان فى ذلك الحين[2] ؛ على عهد الملك المنصور قلاوون ؛ ولم يكد يُجاوز سنّ الحداثة حتى توجّه للدرس والتحصيل والأخذ بأسباب العلوم والآداب ؛ فتلقّى على أبيه علوم القرآن ؛ وكثيرا ما كان يصحبه إلى زيارة أصدقائه من الفضلاء ؛ منهم ابن دقيق العيد ، بدر العلماء وكوكبهم اللامع ؛ فيدلّه على نفائس الـكتب ، ويحثّه على قراءتها ؛ يذكر ابن نباتة منها

= لسركيس ١ : ٢٦٢ ، ٢٦٢ / معجم المؤلفين لعمر كحالة ١١ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / المفصل فى تاريخ الأدب العربى ٢ : ٢٠٦ ـ ١٢٣٥ / المنهل الصافى لابن تغرى بردى (مخطوطة دار الكتب ، رقم ١١١٣ تاريخ) ج ٣ ص ورقة ٢٩٤ ـ ٢٩٩ / النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١١ : ٥٠ / هداية العارفين ٢ : ١١٦٤ / الوافى بالوفيات للصفدى ١ : ٣١١ ـ ٣٣١ / الوسيط فى الأدب العربى ٣١٤ .

ولإسماعيل حسين رسالة اسمها ابن نباتة الشاعر المصرى . وقد عمل الأستاذ محمد حلمى بحثا مدرسيا ضمنه ترجمة عن محمد عبده وابن نباتة ، وقام الأستاذ عمر موسى باشا بدراسة شاملة أودعها رسالته « ابن نباتة المصرى أمير شعراء المشرق » .

ونص صاحب النجوم الزاهرة على ضبط النون من كلمة « نباتة » . وذكر الأستاذ خيرالدين الزركلى أنه رأى نسخة قديمة فى مكتبة اللورنزيانه وعلى نون « النباتى » فيها ضمة .

(١) ديوانه ٨١ .

(٢) الإنتصار لابن دقماق ٤ : ١٣ .

ديوان الحماسة ، والذخيرة لابن بسّام . وجلس إلى شهاب الدين الحلاوىّ ، وعبد العزيز الحصرىّ ، وتلقّى عنهما الحديث ، كما ورد شِرْعة الشيخ الابْرَقُوهىّ ، فأخذ عنه السّيرة النبويّة بقراءة ابن سيّد النّاس عليه ، وغير هؤلاء من علماء عصره .

أما الأدباء والشعراء ؛ فقد لقى أيضا منهم الكثير ؛ ذكر منهم فى إجازته للصفدى(١) الشيخ علم الدين حسن بن سلطان المصرىّ من أهل مُنْيَة ابن الخصيب ؛ قال : قرأت عليه كثيرا من الكُتُب الأدبيّة ؛ وكان كثيرا ما يُنشدنى إلى أن أنشدته قولى :

يا غائبين تَعَلَّلْنا لِغَيْبَتِهِمْ ... بِطيبِ لهوٍ وَلاَ واللهِ لم يَطِبِ(٢)
ذكرتُ والكأسُ فى كفِّى لياليَكمْ ... فالكأس فى راحةٍ والقلبُ فى تعبِ

فقال : أتعبَ واللهِ جَذَعُك القُرَّح .

والشّيخ العالم بهاء الدين محمّد بن محمد المعروف بابن المفسّر ، قال : أنشدنى يوماً لنفسه :

لا أرى لى فى حياتى راحةً ... ذهبتْ لَذّةُ عيشى بالكِبَرْ
بَقِيَ الموت لِمِثلِى سترةً ... يا إلهى أنتَ أوْلَى من سَتَرْ

فأنشدْتُه لنفسى :

بقَلَتْ وَجْنَةُ الحبيبِ وقد ولَّـى زَمانُ الصِّبا الذى كنتُ أملِكْ(٣)
يا عِذارَ الحبيبِ دَعْنِى فإنّى ... لستُ فى ذا الزَّمانِ مِنْ خلِّ بَقْلِكْ

والشيخ الأديب سراج الدين عبد الوارث المصرىّ ، قال: أنشدنى لنفسه :

---

(١) الوافى بالوفيات ١ : ٣١٤ ـ ٣١٩ .
(٢) ديوانه ٦٤ .
(٣) الوافى بالوفيات .

يا خَجْلَتِي وَشَمَائِلِي سُودٌ غَدَتْ   وَصَحَائِفُ الْأَبْرارِ فى إِشْرَاقِ
وموبِّخٍ لى فى القيـــامة قائلٍ   أَ كَذَا تَـكُونُ صَحِيفَةُ الوَرّاقِ!

والأديب نصير الدين المناوىّ ، قال : أنشدني لنفسه :

أَحَبُّ مِنَ الدُّنيا إلىّ وَمَا حوَتْ   غزالٌ تَبدَّى لِي بكأْسِ رَحِيقِ
وقد شهدتْ لى سُنّة اللّهوِ أننى   أحِبُّ من الصَّهْباء كُلَّ عَتِيقِ

فأنشدته لى :

إنّى إذا آنستُ هَمًّا طارقًا   عَجّلْتُ باللّذاتِ قَطْعَ طَرِيقِهِ(١)
ودَعَوْتُ ألفاظَ المليحِ وكأْسَهُ   فنَعِمْتُ بين حَديثِهِ وعتيقِهِ

وهكذا قضى جمال الدين بن نُباتة صَدْرَ أيّامه وأوّل حياته فى صحبة العلماء يتخرّج عليهم ، ويَحمِل العلم عنهم ، ومع الأدباء والشعراء يطارحهم الـكلام ويطارحونه ، وينشدهم الشعر وينشدونه ؛ وفيما بين ذلك يقرأ الـكتب والأسفارَ يتقصّص ما فيها من معارف ، ويعى ما حوته من آداب ، حتى أصبح ولمّا يَبلُغ - الثلاثين ؛ من زعماء الشعر وأمراء الـكلام .

ثم أخذت الأيام به فى مصر تمضى ، والشَّباب يطوى مطارفه شيئا فشيئا ؛ ويصبح فإذا له زوجة وأولاد ؛ فيضيقُ به العيش ، ويترنّق أمامه الصَّفْو ، ويتنفّس بالشكوى :

لَقَـــدْ أصبحتُ ذا عمرٍ عجيبٍ   أُقَضّى فيه بالأنْـكادِ وَقْتِي(٢)
مِن الْأَوْلَادِ خمسٌ حَوْلَ أمّ   فَوَاحَرَبَاهُ مِنْ خَمس وستٍّ !

ويبحث عن وظيفةٍ فى الدّيوان فلا يجد ؛ ويمدحُ الأمراء فلا يظفر إلا

---

(١) ديوانه ٣٥٢ .
(٢) ديوانه ٨٠ .

بالكفاف ؛ ثم تظِلّ الدِّيارَ المصرية الفتنُ والزعازعُ الهُوج ، ويَشيع الانقسام بين الأمراء ؛ وتُحاك الدسائس فى قصور المماليك ؛ وتُروى أحاديث السلب والنّهب فى كل مكان ؛ فيضيق لكل ذلك صدره ؛ ويَتَشعّبُ فؤاده ؛ وينوى الرّحيل عن وطنِه الحبيب ؛ وإنّ أضالِعَه لتنحنى على الهمّ والأسى ، أن يفارق مسقط رأسه ؛ ومَلْهَى حداثته ، وملتقَى أخدانه وأترابه .

مَوَاطِنُ أَهْلِى ثُمَّ صحْبِى وجِيرَتِى   وَأَوّلُ أَرْضٍ مَسّ جِلْدِى ترابُها

* * *

وفى سنة ٧١٦ سافر إلى الشام ـ على ما ذكره ابن حَجَر ـ واتّخذ دمشق له مستقرّا ومُقاما ؛ وفيها لقى والدَه شمس الدين ؛ وقد كان سبقه بالرّحلة إليها وتولّى دار الحديث النُّورية بها ، فكان كلّ مايحصل له ينفقه على أحفاده أولاد جمال الدين ؛ وهناك طاب له العيش ؛ وأخلد إلى شىء من راحة وسكون (١) .

وكان إسماعيل بن على بن محمود المَلِك المؤيّد المعروف بأبى الفدا ، أحد الأمراء الايُّوبيّين الذين تولَّوا حَماة من قبل الملك الناصر ؛ ومَنَحه استقلالاً بها ، وكانَ رَجُلاً فاضلا ؛ وعالما نِحريرا ؛ له مشاركةٌ فى شتَّى العُلوم والآداب ؛ فى الفِقْه والتَّفسير ، والأُصول ، والنحو ، والتاريخ ، والموسيقى ، وتقويم البلدان ؛ وله فى ذلك مؤلَّفات ؛ والملك سوقٌ يُجتلب إليه ما يَنفُق عنده ؛ لذلك هَوَتْ إليه أفئدة العلماء ؛ ورحَل إليه الشعراء ؛ وقيلت فيه المدائح والمطوّلات ؛ فمنح الجزيل ، وأعطى الكثير ؛ وغدت ساحته بحماةَ مِرْبدًا وعُكاظا .

فلم يجد ابن نُباتة بُدًّا من التّوجّه إليه ، ووصْل حبله بحباله ، كما ذهب إليه من قبله صفىّ الدين الحِلّى والشهاب محمودِ الحلبى وغيرها ؛ وما إن حلّ بساحته ،

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٢١٧

ووقعت عيناه عليه حتّى أحبّه وشغف به ، وملأ عليه نفسه من أقطارها ، وكأنّ المتنبيِّ كان يُنشِد بلسانه حينما لقى ابن العميد :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعرابِ أنّي بَعْدها ... شاهَدْتُ رَسْطَاليسَ والإِسكَنْدَرا
وَمَلِلتُ نحرَ عِشارِهَا فأضافنِي ... مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ النُّضارَ لمن قَرَى
وسمعتُ بَطْلَيْموسَ دارسَ كُتْبِهِ ... متملّكاً متبدّياً مُتحضِّرا
ولَقِيتُ كُلَّ الفاضِلِينَ كأنَّمَا ... رَدَّ الإِلهُ نُفُوسَهم والأعصُرا
نُسِقُوا لنا نَسْقَ الحسابِ مُقدّماً ... وأتَى فَذلِكَ إذْ أتَيْتَ مؤخّرا

وفى حَماة ، وبجانب مليكها العظيم،عاش ابن نباتة أسْعَد أيام حياته ، وأهنأ مراحل عيشه ؛ وفيها تفتّقت قريحته عن أروع شعره وأخلدِه على الأيّام ؛ بل فيها نسى نِيلَه ومصرَه ، وأهلَه ووطَنَه :

ألم ترَ أنّا قدْ سلوْنا بأرضِهِ ... مَراداً لنا فى أرضِ مِصْرَ ومَرْبعَا
إذا ابنُ تَقِيِّ الدِّين جادَ نباتَه ... علينا فلا مَدّت يدُ النِّيل إصبعا

ورتّب له فى كل شهر ألف درهم، غير ما كان يُتحفه به وهو مقيم بدمشق[(١)] .

وبِرُوحه أنشأ أجمل الرسائل وأحلاها ، وسجع بأعذب الألفاظ وأبهاها ، وفى كنَفه ألّف كتاب « مطلع الفوائد » ، وثنّاه بـ « سجع المطوّق » ، وعمل له كتاب « الفاضل من كلام القاضى الفاضل » ، وجَمع من مدائحه فيه طاقة من الشعر سُمّيت بـ « المؤيّديّات » مازالت على الزمن ينفح عَرفُها ، ويتضوّع شَذاها ، يقول فى إحداها :

مَلِكٌ باهرُ المكارِمِ يَرْوِى ... وجهُ لُقْياه عَنْ عطاءٍ وبِشْرِ[(٢)]
زُرْتُ أبوابَه فقرّب شخصِى ... ومحَا عُسْرَتِي ونوّه ذِكْرِى

(١) ثمرات الأوراق ٤٨ .
(٢) ديوانه ١٨٤ .

ونَحا لى من المكارِمِ نَحْواً ... صانَنِى عن لقاءِ زَيْدٍ وعمرِو
وتَفَنَّنْتُ فى مُفَاوَضَةِ الشُّكْـ ... ـرِ إلى أنْ أعْيَا التَّطوّلُ شكرى
أريحىٌّ من الملوك أريبٌ ... فائضُ البَحْرِ ذُو عجائبَ كُثْرِ
ربّ خلقٍ أرقّ من أدْمُعِ الخنْـ ... ـسَاَ وقابٍ يَوْمَ الوغى مثلُ صَخْرِ
كلّ أيّامنا مواسم فَضْلٍ ... فى ذُرَا بابهِ وأعياد فِطْرِ

ويقول فى أخرى :

يا مليكاً أحيا الثَّنا والعطايا ... فجَلَبْنا لِسُوقِهِ الأشْعَارا(١)
أسأل الله أن يَزِيدكَ فضْلاً ... وسُمُوًّا على الوَرَى وفَخَارا
صُنْتَنِى عَنْ أذَى الزَّمان وقَدْ حا ... وَلَ حَرْبِى واسْتَكْبَرَ اسْتِكبارا
وانْبَرَى غَيْثُكَ الهَتُونُ بِجَدْوَى ... عَلَّمَتْنِى مَدَائِحاً لا تُبارَى

ويقول أيضاً :

يأيُّها المَلِكُ الذى ... ردّ الحقائبَ شاكِرَهْ(٢)
وسَما بِهِمّتِهِ على ... غُرَرِ النجوم الزاهِرَهْ
حتّى انتقَى مِنْ زَهْرِها ... هذى الخِلالَ الباهِرَهْ
سَقْياً لدهرِكَ إنّهُ ... دَهْرُ الأيادى الوافِرَهْ
متَرادِفٌ لذوِى الرَّجا ... بِهِباتِهِ المتواترهْ
لولاكَ ما أمْستْ قريـ ... ـحَتِىَ الكليلةُ شاعِرهْ
أنتَ الّذِى رَوّت غما ... ئمُهُ رُبَايَ العاطِرَهْ
وأبحتنِى بحر الندى ... حتى نظمتُ جواهِرهْ
لا غَرْوَ إن سَلّيْت عَنْ ... بلدى حشايَ الذاكِرَهْ
فلقَدْ وجدْت ديارَ ملـ ... ـكِكَ بالسعادة عامِرَهْ
قَهرتْ حماةُ لىَ العِدَا ... فحماة عندى القاهِرَهْ

(١) ديوانه ١٩١
(٢) ديوانه ١٨٧ .

وهكذا عاش ابن نُباتة بلبلا يغرِّد فى روضة أبى الفدا ؛ و ينال من أعطياته ما لم ينله النُّواسىّ من الرّشيد ، والمتنبىّ من سَيْف بنى حمدان .

وفى سنة ٧٣٢ مات الملك المؤيَّد ، وبموته امّحت صحيفة مشرقة من حياته وطُوِىَ بساط أخضر من عيشه ، إلاّ أنّ صلته بملوك حماة لم تنقطع بموته ، فلم يلبث أنْ تولّى الملك الأفضل بعد أبيه ، فسار إليه ، وأنشده قصيدته المشهورة ، هنّأه فيها بالمُلْك ، وعزّاه فى أبيه الراحل :

هَنَاءٌ محَا ذَاكَ العزاء المقدّمَا ... فمَا عبَس المحْزُونُ حتّى تَبَسّما[1]
ثُغُور ابتسام فى ثُغُورِ مَدامِعٍ ... شَبِيهان لا يمتازُ ذُو السَّبْق مِنْهُما
نَرُدّ مجارى الدّمْع والبشر واضِحٌ ... كوابِل غيثٍ فى ضُحى الشمس قد همَى
سَقَى الغَيْثُ عنّا تُرْبةَ المِلكِ الّذِى ... عَهِدْنا سجَايَاه أبرَّ وأكْرَما
ودَامَتْ يَدُ النُّعْمى عَلَى المَلِكِ الّذِى ... تدَانَتْ له الدُّنيا وعَزَّ به الحمى
مَليكانِ هَذا قَدْ هَوَى بضَرِيحِهِ ... بِرَغْمِى وَهَذَا لِلأَسِرَّةِ قَدْ سَمَا
وَدَوْحةُ مُلْكٍ شادوىّ تكافأتْ ... فَغُصن ذَوَى منها وآخَرُ قد نما
فقدنا لأعناق البريّة مالكاً ... وشِمْنَا لأنواع الجميل متمّما
إذا الأفضل المَلْك اعتبرتَ مقامه ... وجدتَ زمان الملك قد عاد مثلما
أعاد معانى البيت حتى حسبتَه ... بوزن الثنا والحمد بيتاً منظّما
وناداه مُلْكٌ قد تقادم إرثه ... فقام كما ترضى العلا وتقدّما
تقابل منه مقلة الدهر سؤددا ... صميا وتنضو الرّأىَ عضبا مصمّما
ويقسم فينا كلَّ سهم من الندى ... و يرمى للأعداء فى الروع أسهما

وجرى الأفضل على سَنَن أبيه ، فقرّبه إليه وأدناه ، وأغدق عليه ورعاه ؛ وهو يجزيه المدائح السائرة ، والقصائد الفاخرة .

---

(١) ديوانه ٤٢٩ .

ما سمعنا للأفضل الفرد ثانٍ ... حبّذا فى ثنائنا من بديعٍ[1]
شاذوىّ المقام يأوى علاه ... بمحلّ على السّماك رفيعِ
ذو ندًى كاملٍ ومجدٍ مديدٍ ... ووفاً وافرٍ وعزّ سريعِ
وسجايا كالرّوض تبسم بالزهـ ... ـرِ وبأسٍ يُبلِى الظّبا بالنّجيعِ
من ملوكٍ تفقّهوا فى حِمَى الملـ ... ـكِ فردّوا للأصلِ فضلَ الفروعِ
ونضوْا فى حماه هيبة مُلْكٍ ... يستردُّ العاصى مردّ المطيعِ
يا مليكا سقى نداهُ نباتاً ... زاكياً زرعُ حمدِه فى الزّروعِ
وصلتنى النّعمى ولم تَسْرِ عِيسى ... بفلاةٍ ولم تُشدّ نُسوعِى
كرماً مِنْكَ سوف تتلو التواريـ ... ـخُ ثناه على رءوس الجميع
لَكَ مِنّى الدّعا ونظمُ القوافِى ... فأعِرْهَا لا زلت فكرَ السميعِ
وأبِنْ للمادحين منصوبَ ذكْرٍ ... بحديث المكارمِ المرفوعِ

وله عمل أرجوزته المسمّاة بفوائد السلوك فى مصايد الملوك ، والتى حاكى فيها شعراء العصر العباسيّ ممن قالوا فى هذا الفن ؛ كأبى نواس وابن المعتزّ ؛ يقول فيها :

لِلّه ذاكَ السفحُ والوادِى الغَرِدْ ... والماء معسولُ الرّضابِ مطّرِدْ
يَصْبُو بها الرائى فكيف السامعُ ... ويحمَدُ العاصِى فكيفَ الطّائعُ!
محاسنٌ تلهِى العيونَ والفِكَرْ ... ربيعُ رَوْضاتٍ وشُحْرورٌ صفَرْ
أمامَ كلّ منزلٍ بُستانُ ... وبَيْنَ كلِّ قريةٍ مَيْدانُ
فبادِرِ اللّذّة يا فلانُ ... واغنَمْ متى أمكنَكَ الزمان
ولا تقُلْ مشتًى ولا مصيفُ ... فكلّ أوقاتِ الهَنا شريفُ
كلّ زمانٍ ينقضى بالجذَلْ ... زمانُ عيش كيْفَما دارَ اعتدَلْ
أحسنُ ما أذكر من أوقاتِهِ ... وخيرُ ما ألِفتُ من لذّاتِهِ

---

(١) ديوانه ٢٩٦ .

بُروزُنا للصَّيدِ فيه والقنَصْ و جَوْزُنا من مُرِّه أحْلَى الفُرَصْ
وأخذُنَا الْوَحْش من المساربِ وفعلُنا فى الطَّيْرِ فَوْق الواجبِ
لمّا دنا زمانُ رمْي البندقِ سِرْنا على وجهِ السرور المشرقِ
فى عصبةٍ عادلةٍ فى الحكمِ وغلمةٍ مثل بدور التمِّ
من كلّ مبعوث إلى الأطيارِ تظِلّه غمامة الغبار
وكلّ معسول الشباب أغيدِ منعطف عَطْفَ القضيب الأملد

ولكن الأفضل لم يلبث أن اضطربت أمور مملكته اضطراباً انتهى بعزله ثم موته سنة ٧٤٢ ؛ وبموته انتهت حياة الأسرة الأيوبية بحماة ، وانقطعت مدائح ابن نباتة لهذا البيت العظيم ، كما انقطع مَعِين الرفد والعطاء ؛ وعاد الزمان يبدى لابن نُباتة صفحة جديدة من الهم واضطراب الأحوال ؛ « فاقتصر على الإقامة بدمشق ، والانجماع عن الناس ، وقرره الصاحب أمين الدين رحمه الله أن يكون فى كلّ سنة ناظر القمامة (القيامة)[1] بالقدس الشريف ، أيام زيارة النصارى لها ، فيتوجّه يباشر ذلك ويعودُ ، وأضيف لهُ إلى نكَد الزّمان أنه لم يعشْ له ولد ، فدفن فيما أظنّ قريبا من ستة عشر ولدا ، كلهم إذا ترعرع وبلغ خمسا أو ستًّا أو سبعاً يتوفاه الله ، فيجد لذلك الآلام المبرّحة ، ويرثيهم بالأشعار

(١) قمامة ، كنيسة للنصارى ببيت المقدس ، وفى ديوانه ٤٧٢ أبيات بهذه المناسبة :

مشاهِدَ القُدْسِ حيًّا حِماكِ صَوبُ الْغمامَهْ
حَتَّى أرانِيَ من مِصْ رَ قد فتحتُ قمامَهْ
مَاتتْ قيامةُ قومٍ رأوْا لقدرِى علامَهْ
وظيفةٌ قيل ما ذِى ؟ فقلتُ قولَ السلامَهْ
قمامةٌ عند قومٍ وعند قومٍ قيامَهْ

الرائقة الرقيقة »[1] .

وأمين الدين المذكور كان أحد نُظّار الدّواوين بدمشق ؛حينما أقام ابن نباتة فيها بعد موت الأفضل ، وتوطّدت بينهما المودّة والصَّداقة ؛ وصاحبَه فى رحلاته وأسفاره ؛ وله عمل الرّسالة المعروفة بـ « حظيرة الأنس إلى حضرة القدس » ؛ أوردها صاحب ثمرات الأوراق فى كتابه .

ثم أضيفت إليه وظيفة أخرى بدمشق فى ديوان التوقيع ؛ والتوقيع فى عصر المماليك كان يطلق على أحد ضروب الرسائل والمكتبات الديوانية ؛ يشبه المراسيم ؛ وكان لابن نباتة فى ذلك شأو بعيد ، وتوقيعات عرف بها ، جمع طائفة منها فى كتابه المسمى : « تعليق الديوان » .

* * *

وكان على مضىّ الزّمن وتعاقب الأيام يهتف بذكر مصر بين الحين والحين ، و يعاوده الحنين إليها ، و إلى نيلها وأهرامها ، وربُوعها ومعاهدها ، حنينٌ يفيض فى شعره ، وينبع من قلبه ، يقول :

يا سارىَ الْبَرْقِ فى آفاق مصرَ لقدْ أذكرتَنِى مِنْ زَمَان النِّيل ما عَذُبا[2]
حدّث عن البَحْر أو دمْعِى ولاحرجٌ وانْقُلْ عن النّار أو قَلْبى وَلاَ كَذِبَا
واندُبْ على الهرمِ الغَربىّ لِى عُمُراً فحبّذا هَرَمٌ فَارَقْتُهُ وصِبَا

ويقول :

بأبِى الخدودُ العارياتُ من البكا اللابسات من الحرير جلابِبا[3]

---

(١) الوافى بالوفيات ١ : ٣١٢
(٢) ديوانه ٣١ .
(٣) ديوانه ٢٦ ، ٢٧ .

النابتات بأرضِ مصر، أزاهراً والزاهراتُ بأرضِ مصر كواكبا
آها لمصرَ وأين مصرُ وكَيْفَ لِي بِديارِ مِصْرَ مَراتعاً وَمَلاَعِبَا !
حَيْثُ الشَّبِيبَةُ والحَبِيبَةُ والْوَفَا فى الأَغْرَبِينَ مَشَارِباً وَأَصَاحِبَا
والطرفُ يركَعُ فى مشاهد أوجهٍ عقدت بها طرر الشعور محاربا
والدّهــــر سِلْمٌ كيفما حاولتَهُ لا مثل دهرى في دمشق محاربا

وفى الوقت الذى اشتدّ فيه حنينه ، وتقطع أنينه : كان السلطان الناصر حسن ابن قلاوون يحكمُ مصر ، فأرسل إليه يمدحه ، ويَشيد بأجداده ، يقول فى إحداها :

وإنى لَمشتاقٌ إلى ظــلِّ رَوْضةٍ على النّيل أروى العيش فيها عن النَّضرِ[1]
لئِن حثّنِي باب البرَيد إلى مصر لقد حثنى باب الزيارة فى النزر
إلى مصر يحــلو نيلُها مخصب الثرى فيغنى الورى فى الحالتين عن القطر
لسلطانِ مصر الناصر بن محمدٍ على كل مصرٍ طاعة البرّ والبحرِ
تجمّعت الأمطار فى مصر طاعةً وهل تُجمع الأمطار إلا على مصرِ !
سَلاَمٌ على إسكندر الوقتِ إنّ يَفُحْ شذَا الذّكرِ عنه والسلام على الخِضْرِ
مليكٌ روتْ أعمــاله سِيَرَ التُّقَى عن الملك المصرى عن الحسن البَصْرِى
أجلّ بيوت الملكِ بيت قلاوُنٍ وأنْتَ أجلّ البيت ياوارث الدَّهْرِ

فاستجاب له السُّلْطَان ، واستدعاه ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٧٦١ ، وكتب فى المرسوم أن يُصرف له كلّ ما يتجهز به ، وأن يُجمع له ما انقطع من المعاليم إلى تاريخه ، فجمع له ذلك ، وتجهّز إلى مصر ، فقدمها وهو شيخ كبير .

وعاد ابن نُباتة إلى وطنه ، وتحرّكت فيه نوازع الشِّعر ، وهزَّه عطفُ السُّلْطَان وأعْطياته ، فأخذ يُنشِد فيه المدائح ، ويصوغ حرّ القريض ؛ وأعْجِب السُّلطان

---

(١) ديوانه ١٩٦ .

بشعره ، فأمر بنسخ ديوانه ، وأن يُوضع فى أعزّ مكان من مكاتب قصوره .

وفى كَنَف هذا السلطان ألّف ديوانا للخطب الجمعية ، على نحو ما فعله جدّه الأكبر عَبْد الرحيم .

ثم قُرّر من بعد موقّع الدَّسْت وأُعفِيَ من الحضور ؛ وأمر السّلطان إجراء معلومه ، فربّما صُرِف له وربما لم يُصرَف ، إلى أن مات فى ٧ صفر سنة ٧٦٨ بالمرستان الغُورِى ، ودُفن بمقابر الصوفية ؛ بعد أن ملأ الدنيا شعراً ونثراً وزَهْراً وعطْراً .

* * *

٢ — كتبه وآثاره

١ ـ إبراز الأخبار : ذكره الصّفدىّ وابن حَجر وصاحب كشف الظنون وصاحب كتاب هداية العارفين [١].

٢ ـ التحفة الإنسية فى الرحلة القدسيّة : ذكره الصفدى وقال : إنه سمعه من لفظه [٢].

٣ ـ تعليق الديوان : تضمّن توقيعاته حين ولّى التوقيع فى الديوان ؛ ذكره بروكلمان ، وقال : منه نسخة محفوظة فى مكتبة برلين .

٤ ـ جلاسة القطر : مجموعة من شعره ؛ ذكره البدر البَشْتَكى فى مقدّمة الديوان .

٥ ـ خطيرة الأنس إلى حضرة القدس : وهى وصف رحلته إلى بيت المقدس مع الصاحب أمين الدين سنة ٧٤٥ ؛ أوردها ابن حجّة الحموىّ فى كتاب ثمرات الأوراق [٣] .

٦ ـ خبز الشعير : فى بعض مخترعاته وما سرق منه ، قال ابن إياس : ومما وقع للشيخ جمال الدين أنه كان يخترع المعنى الغريب فى شعره الذى لم يسبق إليه ، فيعارضه فيه صلاح الدين الصفدى ، ويأخذه عنه وزنا وقافية ، وينسبه لنفسه ، كما قيل فى المعنى :

وفتًى يقول الشعر إلا أنه   فيما علمنا يسرق المسروقا

---

(١) ذكره ابن حجر باسم : « إراد الأخبار » ، والصفدى باسم « إبراز الأخبار » ، والأنسب ما ذكرته من الوافى بالوفيات .

(٢) أوردها صاحب كشف الظنون بلفظ « النحفة الإنسية » .

(٣) ص ٢٣٨ ـ ٢٤٨

قال الشيخ جمال الدين : فلما طال على الأمر فى ذلك جمعت كتابا فيما قلت وسرقه منى ، ونسبه إلى نفسه ، وسميت هذا الكتاب « خبز الشعير » ، لأنه مأكول مذموم ؛ وقد أعجب ابن حجة بهذا الكتاب ونقله فى كتابه المسمى « تقديم أبي بكر » ، والمطبوع بعنوان « خزانة الأدب » .

٧ ـ تلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج : قال فى مقدمته : « فإنى رأيت نتائج أفكار الشعراء ذرّية بعضها من بعض ، وأمم أشعارهم تبعث فى صعيد واحد من الأرض ، إلا أشعار الأديب الفريد أبى عبد الله الحسين بن الحجاج ؛ فإنها أمة غريبة تبعث وحدها ، وذرّية عجيبة تبلغ بإنفاق اللهو واللعب رشدها ، لم يحط خاطر أحد بمثلها خبرا ، ولا استطاع على معارضة شهدها صبراً » . ذكره الصفدىّ وصاحب كشف الظنون ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى أكسفورد وبودليانا .

٨ ـ خطبة فى تعظيم شهر رجب ، ذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة فى جوتا .

٩ ـ ديوان خطب جمعية ؛ طبـع بمطبعة شرف فى سنة ١٣٠٢ ، ومطبعة عثمان عبد الرزاق سنة ١٣٠٤ ، وفى بيروت سنة ١٣١١ .

١٠ ـ ديوان شعره ؛ جمعه ورتبه على وزن الهجاء ، ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة طلعت ؛ ونسخ أخرى موزّعة فى مكتبات العالم .

وقد قام تلميذه محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشتكى[١] ، بضم ديوانه الكبير إلى باقى المجموعات الأخرى التى عملها المؤلف ؛ وذكر أنه

---

(١) أنظر الأعلام للزركلى ٦ / ١٩١

رآها بخطه ، وهى: طرائف الزيادة ، ومطالع السمة ، والمؤيّديات ، والقطر النباتى ، وجلاسة القطر ، وسوق الرقيق ، والسبعة السيّارة ، ورتبها جميعا على الهجاء ، وطبع هذا الديوان بالمطبعة الوطنية سنة ١٢٨٨ هـ ، وأخرى بمطبعة التمدن سنة ١٣٢٣[1] .

وقام ابن حجة الحموى باختيار مجموعة من شعره سماها « بياض النبات » ومنها نسخة بخطه فى مكتبة أحمد الثالث بإستانبول .

وفى دار الكتب مجموعة من شعره لم يعلم جامعها ؛ بعنوان « الدرر المقتاته من مختار شعر ابن نباتة » تشتمل على قصائد فى المديح وجور الظلمة ، رقم ٧٣ أدب ـ مجاميع .

١٢ ـ رسالة فى المفاخرة بين السيف والقلم ، منها نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية رقم ٨٦٤ أدب ، وطبعت فى بيروت سنة ١٣٠٢ .

١٣ ـ رسالة فى المفاخرة بين الورد والنرجس ؛ أوردها ابن نباتة فى كتابه « سجع المطوّق » .

١٤ ـ رسالة فى هجاء الحسن بن على بن حمد المعروف بابن شمار ، قال ابن حجر : « وكانت بينه و بين جمال الدين بن نباته منافرة شديدة ، وله فيها هجاء واتفق أنه قرئ على ابن نباتة قطعة من نظمه ونثره ، فكتب له : الحمد لله حاشا من فخر ، والصلاة والسلام على محمد ما نبح الكلب من ضوء القمر » . واستمرّ فى هذا النثر المسجوع ؛ وهى من عجائب ما أنشأه ابن نباتة[2] .

---

(١) وذكر الأستاذ عمر موسى باشا أن ما جمعه البدر البشتكى من ديوانه لم يستوعب جميع شعره ، وقال : « لأنى عثرت على مقطوعات وقصائد لم تنشر فى الديوان الكبير ؛ وقد لاحظ الأقدمون ذلك ، فأشار الشوكانى إلى هذا النقص ، فقال فى كتابه البدر الطالع فى معرض ترجمته للبدر البشتكى تلميذ ابن نباتة : « وجمع ديوان شيخه ابن نباته وفاته كثير منه، فاستدرك ابن حجر ما فاته من شعر ابن نباتة فى مجلد » . ابن نباتة شاعر المشرق ص ٢١٢

(٢) الدرر الكامنة ٢ : ٢٤ .

١٥ ـ زهر المنثور ، وهو كتاب فى ترسل ابن نباته ؛ مما سار فيه على طريقة القاضى الفاضل .

ذكره الصفدى وابن حجر ، وابن تغرى بردى فى المنهل الصافى، وابن حجّة وصاحب كشف الظنون ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

١٦ ـ السبعة السيارة ، مجموع من شعره ، ذكره البدر البشتكى فى مقدمة الديوان.

١٧ ـ سجع المطوّق ، ذكر فيه تراجم من قرظوا كتابه « مطلع الفوائد » مثل الشهاب محمود الحلبى ، والجلال القزوينى ، وكمال الدين العطار ، وأمين الدين بن النحاس ، وبهاء الدين بن غانم ، قال : « وسميته سجع المطوّق لتطويقى بالإنعام ، ولسجعى بالمحامد على غصون الأقلام » .

ذكره ابن حجر وابن حجة والشوكانى وحاجى خليفة ؛ وذكر بروكلمان أيضا أن منه نسخاً خطية بالمكتبة الأهلية بباريس ؛ وأيا صوفيا وحكيم أوغلى بإستانبول ؛ ومنه نسخ مختلفة خطية أيضاً بدار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة طلعت والمكتبة الأزهرية .

١٨ ـ سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، ويأتى الكلام عليه .

١٩ ـ سلوك دول الملوك ؛ وهو كتاب فى السياسة وآداب الدول والملوك وواجباتهم نحو أنفسهم ورعاياهم .

ذكره بروكلمان وقال : إن منه نسخة مخطوطة فى أكاديمية فينا .

٢٠ ـ سوق الرقيق ؛ مجموع من شعره ؛ يشتمل على طائفة من القصائد الغزلية .

ذكره الصفدى وابن حجر والشوكانى والبشتكى فى مقدمة الديوان ؛ وذكر بروكلمان أنه منه نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين وأخرى بالمكتبة الأهلية بباريس

٢١ ـ شمائر البيت التقوىّ : ألفه لتخليد الملوك الأيوبيين الذين حكموا حماة ؛ وعلى رأسهم المظفر تقىّ الدين ، المتوفى سنة ٥٧٤ هـ .

ذكره الصفدى وابن حجر وصاحب كشف الظنون .

٣٢ ـ طرائف الزيادة ، مجموع من شعره ، ذكره البدر البشتكي في مقدمة الديوان.

٣٣ ـ الفاضل من كلام الفاضل ، وهو مختارات من كلام الفاضل ؛ جمعها بأمر الملك المؤيد أبي الفداء ملك حماة .

ذكره الصفدى وصاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية بمكتبة المتحف البريطاني ، وعنها مصورة دار الكتب برقم ٣٨٨٢ أدب ؛ ونسخة بالمكتبة الأزهرية بعنوان : « المختار من إنشاء القاضي الفاضل » برقم ٦٩ ، أدب ـ أباظة .

٣٤ ـ فرائد السلوك في مصايد الملوك ، أرجوزة في وصف رحلة للملك الأفضل ، أولها :

أتى بها الروض على فصل السحُبْ واشتملت بالوشى أرداف الكُثُبْ

ما بين نَوْرٍ مُسفر الَّلثام وزَهَــرٍ يضحك في الآكام

ومنها نسخة مخطوطة في برلين ، وأخرى في مكتبة خزانة الأوقاف العامة ببغداد ، ونشرها أسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العراقي ، في الجزء الثاني من ص ٣٠٢ إلى ٣١٠ .

٣٥ ـ القطر النباتي ؛ مقاطيع من شعره ذكره الصفدى وقال : إنه سمعه من لفظه ، وابن حجر ، وابن تغرى بردى في المنهل الصافي والشوكاني وصاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس ، وذكر العلامة الزركلي أنه رأى منه نسخة قديمة بمكتبة الوزير بانه .

٣٦ ـ مختارات ديوان ابن الرومي ؛ تشتمل على طائفة من شعره في ذكر الشيب والتشبيب والعتاب والاستعطاف والهجاء والرثاء والأوصاف وغير ذلك . ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة أيا صوفيا بالآستانة ، وعنها مصورة دار الكتب برقم ٥٢٢٢ ـ أدب .

٢٧ ـ مختار ديوان ابن سناء الملك ؛ ذكره الصفدى .

٢٨ ـ مختار ديوان شيخ الشيوخ الشيخ شرف الدين ؛ ذكره الصفدى .

٢٩ ـ مختار ديوان ابن قلاقس ؛ أثبت فيه من شعره ما كان من أبناء فكره وحذف منه مانسب إليه فى ديوانه من غير شعره ، ورتبه على حروف المعجم .

ذكره الصفدى ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب بخط محمود النابلسى ، وأخرى بالمكتبة الأزهرية ؛ وطبع بمطبعة الجوائب بمصر سنة ١٣٢٣ باسم « ديوان ابن قلاقس » بتصحيح خليل مطران .

٣٠ ـ مراسلات ابن نباتة فى مخاطبات أقرانه ، منها نسخة مخطوطة بمكتبة طلعت تحت رقم ٤٤٠٢ ـ أدب .

٣١ ـ مطلع الفوائد ومجمع الفرائد : «ضمنه ذكر ماتناهت إليه أفكار العلماء فى تنقيح النطق وما بلغته أذهان الشعراء والكتّاب فى ترشيحه وتنقيحه » ، ورتّبه على ثلاثة أقسام : « القسم الأول فى محاسن أخلاق العلماء فى تأويل المعانى المشكلة ، والثانى فى مبتدعات الشعراء ومخترعاتهم ، والقسم الثالث فى مخترعات الكتّاب ومعجز رسائلهم» ، ألّفه برسم الملك المؤيَّد صاحب حماة .

ذكره الصفدى وابن حجر والشوكانى وصاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية بمكتبة طلعت بدار الكتب برقم ٤٥١٠ أدب ، وأخرى بالمكتبة الأزهرية برقم ٤٧٣ أدب أباظة وأخرى بمكتبة خالت أفندى ، وعنها مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وذكر بروكلمان أيضاً أنّ منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس .

٣٢ ـ المنتخب المنصورى ؛ مجموع من شعره . ذكره الصفدى . وقال الأستاذ عمر موسى باشا : « ولعل الشاعر جمع فيه كل ماقاله فى مدح الأفضل ، وكان

يسمى بالمنصور ؛ على نمط ما فعله فى المدائح المؤيّدية التى قالها فى أبيه[1] .

٣٣ ــ منتخب الهدية من المدائح المؤيّدية: ويسمى «المؤيّديات» ، وهو منتخب من القصائد التى مدح بها الملك المؤيد ملك حماة .

ذكره الصفدى وابن حجر ، وابن تغرى بردى فى المنهل الصافى وصاحب كشف الظنون . ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة كوبريلى بإستانبول ، بخط المؤلف ، وعنها مصوّرة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وطبع بالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٨٩ ، وفى بيروت سنة ١٣٠٤ وفى مصر سنة ١٣٢٣ .

* * *

ونسب إليه صاحب هداية العارفين كتاب « الاكتفا من تاريخ الخلفا » ، والصحيح أنه لأبيه شمس الدين محمد بن محمد[2] .

ونسب إليه أيضاً كتاب « الرسالة الشهابية فى الصناعات الطبية » ، وفى دار الكتب نسخة بهذا الاسم برقم ١٥٤٣ طب ، غير منسوبة .

---

(١) ابن نباتة المصرى أمير شعراء الشرق ٢١٥ .

(٢) من هذا الكتاب أجزاء متفرقة فى مكتبة قوله وكوبريلى وأيا صوفيا .

٣ – سرح العيـــون

وكتاب سرح العيون من الكتب الفريدة ؛ التى جمعت من شتات الفوائد ، ومتشعب التراجم والطُّرَف والنوادر ، ومصطفى الشعر ومنخول الكلام مالا يجتمع فى كتاب ؛ ألفه ابن نباته شرحا لرسالة ابن زيدون الهزلية ؛ وكان ابن زيدون من شعراء الأندلس وكتّابها ، متضلعا من فنون الأدب عارفاً بأخبار العرب ، راوية لأشعارها وأمثالها ، حافظا لطُرَفها ومُلَحها ؛ كتب هذه الرسالة على لسان ولادة بنت المستكفى ، إحدى الظريفات من بنات خلفاء الغرب الأمويين إلى أحمد بن عبدوس ؛ منافسه فى حبها ، ومكانته عندها ؛ بأسلوب تهكّمىّ ساخر ؛ وشّاها ببديع الكنايات والتشبيهات ، ورصّعها بالإشارات التاريخية ، والمعارف الأدبية ؛ كما ضمنها الكثير من الأبيات الرائقة ، والأمثال السائرة ، مما يعوزه الشرح والتفسير ؛ فجاء ابن نباته ؛ فشرح غريبها ، وترجم الأعيان الذين ورد ذكرهم فيها ، ثم استطرد إلى ذكر الوقائع والأيام والأحداث ونصوص الشعر والخطب والحكم ، مما جعل هذا الشرح مرجع الباحث ، وغنية المتأدّب ، ومراد المستفيد .

ويظهر أنه ألف هذا الكتاب أثناء إقامته بدمشق ؛ وشبابه غضّ ، وعيشه مونِق ، وذهنه حاضر جميع ، فنقل إليه عصارة محفوظه ، وخلاصة ما حوته خزانة كتبه ؛ قال : « وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفاراً فيها للطالب منجع ، وللأفهام الناشئة ذكرى تنفع ؛ فلم يتهيّأ أن أعارَ منها كتابا ، ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا ، فقلت : هذا عذر آخر لم يكن فى الحساب ، وهذا قصد قد تغلّقت دونه الكتب فإنها ذات أبواب ، ولم يبق إلا صُبابة الحاصل التى أبقتها نُوَب الدهر ، واستنباط الثّمد إذ أعجز ورود البحر ، فأمليت

شرح هذه الرسالة عن فكر قدمسه القرح ؛ وشرحت إلا أنى مقصّر وماأطيل الشرح ، بيد أنى لم أعتمد إلا على نقل خبر صحيح ، ونسب قول صريح ؛ ولم أُخلِ ترجمة كل مذكور من فائدة سارّة ، ونادرة دائرة ، وأقوال سديدة ، وأبيات مشيدة ، وفقر ما أخطأتها فطنة سعيدة ؛ ولم آلُ فى اختيارها جهدا ، ولا ازددت مع صروف الزمان إلا نقداً ، هذا مع تجنّب الإكثار ، وترك الإخلال بنظائر الأشعار ، والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار »[1] .

---

(١) شرح العيون ص ١٤ ، ١٥ .

٤ ـ تحقيق الكتاب

وقد كان هذا الشرح من أوائل الكتب التي توالت طبعاتها في هذا العصر ، فطبع في بولاق سنة ١٢٧٨ هـ ، ثم بالمطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠ ، ثم بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٥ ، (على هامش الغيث المنسجم) ، ثم بمطبعة الموسوعات سنة ١٣٢١ ، ثم بمطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٧ ، كما طبع بالأستانة سنة ١٢٧٥ ومعه ترجمة بالتركية .

وجميع هذه الطبعات يشيع فيها الخطأ والتحريف ، ويعوزها الضبط والشرح والتعليق ، مما يحول دون الانتفاع بالكتاب ؛ والوقوف على ما فيه من فوائد ومعارف .

وحينما تهيأ لي نشره تخيرت ثلاث نسخ من مخطوطاته ، وواحدة مطبوعة ، أدرت حولها التحقيق :

١ ـ نسخة مخطوطة بقلم نسخ معتاد ، كتب المتن بالحمرة والشرح بالمداد الأسود ، بخط الهادي بن محمد بن الحسن الحمزي اليماني سنة ١٠٨٠ هـ ، وتقع في ١٢٣ صفحة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا في المتوسط ، وعليها بعض التعليقات وهي محفوظة بالمكتبة التيمورية برقم ٧٠٦ أدب ، وقد رمزت إليها بالحرف (ت) .

٢ ـ نسخة خزائنية بخط نسخ فارسي جميل ، وبأولها صفحتان متقابلتان حليتا بالذهب والألوان واللازورد ، مجدولة بالذهب والألوان كتبت سنة ١٢٥٢

وتقع فى ١٢٢ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطراً ؛ وهى محفوظة بدار الكتب برقم ٥١ م وقد رمزت إليها بالحرف (م) .

٣ — نسخة بقلم نسخ معتاد ، ناقصة من آخرها ، وفى بعض فصولها اختصار ، ويبدو أنها كتبت فى القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد كتب المتن بالحمرة والشرح بالمداد الأسود ، وتقع فى ٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطراً فى المتوسط ، محفوظة بدار الكتب برقم ٥١٢٧ أدب ، وقد رمزت إليها بالحرف (د) .

٤ — أما المطبوعة ؛ فهى النسخة التى قام بتصحيحها المرحوم الأستاذ حمزة فتح الله ، طبعت بالمطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠ ؛ دون ذكر الأصل المخطوط الذى طبعت عليه ؛ وبها قليل من التعليقات مما كتبه مصححها .

كما أنى رجعت إلى الكتب التى أوردها المؤلف فى كتابه ، مثل كتاب الأغانى لأبى الفرج ، والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ، ومجمع الأمثال للميدانى ، ومفردات الراغب الأصفهانى ؛ وغيرها من كتب التاريخ والأدب والمعاجم ودواوين الشعر مما أشرت إليه فى مكانه ، كما صنعت له الفهارس المتنوعة .

* * *

وبعد ، فقد قام الأستاذ عمر موسى باشا بدراسة وافية عن ابن نباتة ، أوفى فيها على الغاية ؛ وبلغ بها من جدة البحث ، وجمال الأسلوب ، وسلامة المنهج مبلغاً بعيداً ؛ وقد أفدت منه فى هذه المقدمة ، ولولا أنى قصدت فيها أن أتحدث عن كتابه سرح العيون ، وأن أستطرد لاستقراء جميع كتبه ، وألقى ضوءا

على حياة ابن نباتة بالقدر الذى يناسب هذا المكان ، لكنت اكتفيت بهذه الدراسة التى أسماها : « ابن نباتة المصرى أمير شعراء المشرق »[١] ، وكان فيها كفايةٌ وغَناء .

والله ولىّ الهداية والتوفيق ؟

مصر الجديدة { ١٥ شعبان سنة ١٣٨٣
٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٣ }

محمد أبو الفضل إبراهيم

---

(١) طبعت بدار المعارف ضمن مجموعة مكتبة الدراسات الأدبية سنة ١٩٦٣ .